الكلام في معاني الدنيا والآخرة

ان الدنيا والآخرة ما هما الا حالتان من حالات قلب الانسان فاذا اتجه قلب الانسان الى تحصيل المنافع العاجلة التي لا ترتبط بما بعد الموت يقال ان هذه هي الدنيا واذا اتجه قصد الانسان الى تحصيل المصالح المرتبطة بما بعد الموت يقال انه ابن الآخرة . فابن الدنيا ما هو إلا الانسان الذي يتمحض قصده في تحصيل المصالح والمنافع واللذائذ العاجلة والحاصلة له قبل الموت مع عدم ارتباطها بما بعد الموت . وابن الآخرة هو من يكون كل همه تحصيل المصالح والمنافع واللذائذ فيما بعد الموت ...

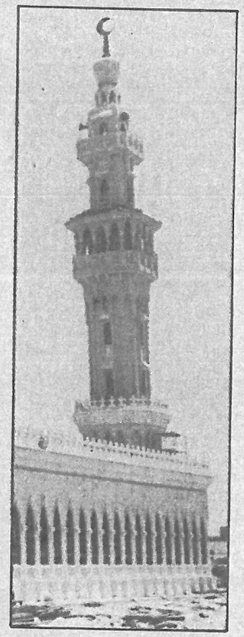

المحاضرة الواحدة والثلاثون لفضيلة الشيخ سليمان المدني

الناس يطمعون في الدنيا بسبب الشهوات وحب المال وحب الجاه والتفاخر واكثر ما يبلي الانسان هو المال ...

وابن الآخرة قد يكون تحصيله لتلك المنافع او تلك المصالح مقترناً بتحصيل المصالح والمنافع فيما قبل الموت ولكنه لا يسمى ابن الدنيا ، بعكس إبن الدنيا فانه لا يحصل له شيء فيما بعد الموت ولذلك ورد في الحديث ان من طلب الآخرة حصلت له الدنيا والاخرة ومن طلب الدنيا خسر الآخرة ...

قال تعالى : أعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد.

فهذه خمسة أمور وهي اللعب واللهو والتفاخر بالأولاد والاموال ، اما نتائجها فقد عبرت عنها آية اخرى بقوله تعالى (زيّن للناس حب الشهوات من النساء والبنين، والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة) فهذه سبعة اشياء اذا اضيفت اليها الاشياء الخمسة السالفة الذكر يكون لها اثني عشر وجهاً ...

وقد سئل الامام زين العابدين (ع) عن الدنيا فقال في حديث طويل : ما عُبد الله بعد الايمان بشيء افضل من بغض الدنيا ... وقال في هذا المقام ايضاً وان ذلك - يعني بغض الدنيا - له شعب كثيرة ، وللمعاصي شعب كثيرة ، وأول المعاصي طبعاً هي معصية الشيطان ، والمعصية الثانية هي ما اصاب أبانا آدم وأمنا حواء في الجنة وهي ليست من جنان الخلد طبعاً ، وهو الحرص ، فان الله سبحانه وتعالى أباح لهما أن يأكلا من الجنة ما شاءا واستثنى عنهما شجرة واحدة ، وكانت امورلما تجري بدون تلك الشجرة ، فبلغ بهما الحرص الا ان يأكلا من تلك الشجرة فجرّا على انفسهما وعلى ذريتهما العيش في هذه الحياة المتعبة نتيجة الحرص على الاكل من تلك الشجرة ...

المعصية الثالثة هي معصية ابن آدم وهي الحسد حيث حسد أخاه ومنها تولد حب الدنيا ، وحب الزعامة وحب الرئاسة وحب الشهوات من النساء والأموال وغير ذلك ، فاذا اجتمعت هذه المعاصي المتولدة من الحسد الذي أصابنا مع المعصيتين السابقتين وهي الشيطان ومعصية آدم في الجنة فان المعاصي التي يقترفها الانسان تكمل ، وإنما يطمع الناس في الدنيا بسبب هذه الأمور وهي الشهوات وحب المال وحب الجاه والتفاخر ، ولذلك نبدأ اولاً بما هو أعم ابتلاء ونختم بما هو أخص ابتلاء ... فاعم الابتلاءات التي تصيب الناس في الدنيا المال ، والمال هو الفتنة الكبرى التي يصيب بها البشر ، إذا فُقد أدى الى الفقر الذي هو الكفر ، واذا وجد أدى الى الطغيان ، يقول سبحانه وتعالى (ان الانسان ليطغى أن رآه إستغنى) ، ويقول سبحانه وتعالى في آية أخرى (واما الأنسان اذا ما ابتلاه ربه فقتر عليه رزقه فيقول ربي اهانني) طبعا الاعتقاد بأن الله قد أهانه كفر ، ولذلك ورد عن الامام علي (ع) اذا ذهب الفقر الى بلد قال له الكفر خذني معك . وورد عنه عليه الصلاة والسلام (كاد الفقر أن يكون كفراً) ...

من اعظم الابتلاءات والامتحانات في هذه الدنيا ، المال ، اذا وجد أدى بصاحبه الى الطغيان وان فقد أدى بصاحبه الى الكفر ... ولا شك ان المال ايضاً بالاضافة الى انه محنة والى انه فتنة واختبار له فوائد ومنافع وله آفات ومضار . والمشكلة انه لا يتمكن من التمييز بين ما هو آفة ومضرة وبينما هو منفعة ومصلحة في المال الا الراسخون في العلم ، أو العقلاء ، ولا يتمكن من السير بموجب هذا التمييز الا الراسخون في العلم الذين امتحن الله قلوبهم بالايمان ... أي أنه ليس كل الناس يعرفون آفات المال ومضاره وليس كل من عرف منافع المال ومضاره تمكن من السير في حياته بترك كل المضار واستعمال المال في المنافع ، لأن الشهوات المقترنة بالمال ، الشهوات النفسية ، المقاصد ، تمنع الانسان حتى لو عرف المنافع ، وعرف المضار أن يتجنب المضار وان يستعمل المنافع ولذلك صار إثمه اكبر من نفعه ، ومن اجل ذلك دعا النبي (ص) فقال (اللهم إجعل قوت آل محمد كفافاً) لانه مع عدم وجود القوت يسير الانسان الى الفقر وهذا غير مطلوب ، ومع زيادة القوت ووفرة المال قد لا يستعمل الانسان هذا المال في الوجوه المطلوبة ، ولاشك ان المال الذي في الدنيا قد يكون من حلال وقد يكون من حرام وقد يكون من مورد لا يعلم به صاحبه أهو من النوع الحلال ام من النوع الحرام أي من الشبهات ، كما ذكرنا ذلك في محاضرات سابقة عند الحديث عن حب المال والجاه ... والمال حتى لوكان من الحلال فقد ورد في الحديث (في حلالها حساب وفي حرامها عقاب وفي مشتبهاتها عتاب) .

ان الانسان وهو يطلب المال يجب ان يدرك هذه الأمور ، ولا شك أن العاقل يدرك ان الحساب يوم القيامة هو نوع من العذاب ، على ما وصف الله سبحانه وتعالى به يوم القيامة ، والذي قال فيه (تذهل فيه كل مرضعة عما ارضعت وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد) الانسان الذي يتخلص ذلك اليوم أسرع من غيره لاشك انه اكثر راحة ممن يقف مدة أطول في عسرة مثل هذه العسرة ، حتى طول الحساب وان لم يصبه عذاب النار ، فهو في حد ذاته نوع من العذاب ، وان لم يكن هذا عقاباً ، فهناك فرق بين العذاب وبين العقاب ، العقاب ياتي من غضب الله سبحانه وتعالى ، العذاب قد لا يكون بسبب غضب الله ولكن عليه محاسبة ، عليه تكليف عليه أن يؤديه حتى في الدنيا فهو يقول تعنيت من السير اي تعبت ، فالتعب ايضاً نوع من العذاب ولكن قد لا يكون ناشئاً من عقاب ، وكذلك في حرامها عقاب ، لان من يكتسب المال من الحرام يعاقب على هذا الكسب ، وفي متشابهاتها عتاب ، وعتاب الله شديد ... اضافة الى ان من يُبتلى بوجود المال يتحتم عليه اخراج حقوقه ، وحقوق المال كثيرة لايعرف الناس منها الا الزكاة والخُمس وهي اكثر من ذلك ، ولذلك قال علي (ع) ما رأيت نعمة موفورة الا وبجانبها حق مضيَّع .. ولوكان مجرد اخراج الزكاة والخمس هو الحق لكان في زمانه (ع) لا يقول هذه الكلمة ، لان كل المسلمين وهو خليفتهم يدفعون الحقوق ، ولا يستطيع أحد أن يتخلف ما دام الدولة ترسل جباتها وموظفيها لاخذ الحقوق ، ولكن هناك حقوقاً اخرى غير هذه الحقوق تقترن بالمال قلّما يؤديها الانسان ...

على اية حال ان الانسان في حال وجود المال اما ان يكون منفقاً أو ممسكاً ، وفي حالة عدم وجود المال اما ان يكون قانعاً أو غير قانع ، وطبعاً ، غير القانع اما انه يتمنى ان يكون له ما في ايدي الناس أو يكون منصرفاً الى ايجاد المهنة والصنعة التي يكسب بها المال ... القانع هو الذي يذهب ويعمل له حرفة وصناعة تكسب له المال وغير القانع يكتفي بحسد الناس ويتمنى ان يكون ماعندهم بيده ، وصاحب المال كما قلنا له حالتان ، حالة الامساك وحالة الانفاق وحالة الانفاق لها ايضاً صفتان ، أما أن يكون الشخص مسرفاً ، واما أن يكون مقتصداً وسواء كان مسرفاً أو كان مقتصداً فهو اما أن ينفق المال فيما يجلب له الخير في الآخرة والمدح بالدنيا أو ينفقه فيما يجلب عليه مضار الدنيا ومضار الآخرة ، فهذه هي الوجوه التي ينبغي ان يتكلم فيها بالنسبة الى فوائد المال وافاته ... وقد تحدثنا عن هذه الجوانب من انفاق المال في محاضرات سابقة .

ينبغي لنا ونحن نقرأ القرآن الكريم ونقرأ الروايات وننظر الى كثرة ما فيها من الآيات والروايات في ذمّ المال وذم حصوله ينبغي علينا ايضاً ان نلاحظ ان القرآن الكريم وان النبي (ص) والأئمة عليهم السلام ايضاً مدحوا المال مدحاً كثيراً ، فمن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم (نعم المال الصالح للرجل الصالح) ... وكل ما ورد في مدح الصدقة أو مدح الحج أو غير ذلك فهو في الحقيقة مدح للمال ، لان هذه من آثار المال وان الله سبحانه وتعالى سمّى المال في مواطن كثيرة من القرآن سماه خيراً . فمن ذلك قوله تعالى (اذ ترك خيراً الوصية) الميت يترك الوصية إنما يترك مالاً وسمى المال في هذا الحال خيراً ، والنبي (ص) يقول (يموت المرء إلآمن ثلاث كتاب علم ينتفع به وولد بارّ يستغفر له وصدقة جارية له في حياته فهي تجري له بعد مماته) أي الوقف المؤبد المنفعة ، الذي يُدخل عليه الثواب ... وطبعاً هذا لا يكون الا بالمال ، والاحاديث في ذلك كثيرة ...

(يتبع في العدد القادم)

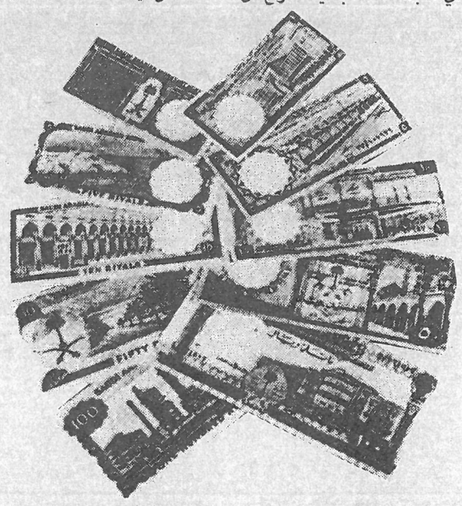

من طلب الآخرة حصلت له الدنيا والآخرة ومن طلب الدنيا خسر الآخرة ...

«حديث شريف»